موفق محمد

2025 - 1948

مرايا

من زمن التوهج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة

للإعلام والثقافة والفنون

www.almadasupplements.com

"20عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

رئيس مجلس الادارة
رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (5911) السنة الثانية والعشرون
الخميس (22) أيار 2025

الصوت وحده

محمد خضير

الكتابة عبارة على ضريح موفق محمد، أحارُ في ما أختار من حجارته الشعرية، هذه التي ما فتئت مفرداتها تتدحرج إلى واد سحيق، فلا تتيح لإزميل نقاش فرصة أن يمسك بهديرها المتواصل. أستعير القَول الذي كان الناقد علي جواد الطاهر يُؤثر به أصفياءه من الأدباء العراقيين: "فلان وحده"، فأصوغ منه صوتاً لموفق محمد وحده. خرج صوت موفق محمد من رحم (الكوميديا العراقية)- قصيدته المنشورة على صفحات العدد السادس من مجلة (الكلمة) العام ١٩٧٢- باعتبارها المثال الفخم للضريح الذي ابتناه شعراء طليعيون على حافة الهامش السلطوي لثقافة الأعوام السبعينية. كان صوت موفق محمد وحده، دالاً على هيئته المختفية في بنية الخطاب الشعري الضرائحي ذاك. كان صوتاً منبرياً محشوراً في زاويته، قبل أن يهشّم جدرانه ويصبح صوتاً شعبوياً، ساخطاً ومدمراً لبنيته الكتوم. ضاق الصوت بحدوده، بحزنه وآلامه وقدرته على التلويح والانتشار الحرّ، فخرج محتجّاً ليلتحق بشعراء الهامش السلطوي الذي شطرته عواصف الساحل الإيديولوجي شطرين متناقضين: شطر القصيدة المنطوية على خطابها الجمالي، وشطر القصيدة المفتوحة على هامشها الاحتجاجي. وفيما اعتزَّ الشعراء الجماليون بألعابهم اللغوية، انحاز موفق محمد إلى شحنة صوته من الاستعارات والمجازات الساخرة لهدم حجارة الهامش. كانت ذاكرته المزدحمة بالصور والتجارب تدعمه بأشد النبرات احتجاجاً ودفعاً لجدران اللغة الخادعة. تطابقَ مع صوته وحده، ضدّ ضيق الهامش الذي اندثر تماماً أمام مفرداته الهادرة كالرعد.

منذئذ- منذ حرب العربان والتربان- انداف الصوتُ بأوحال الأحذية العسكرية والبذلات الفضفاضة على أجساد الجنود وبصمات الحنّاء على جدران الأضرحة. حتى إذا بلغ الصوت حافة الهامش الأخير، المرافق لسلطة ١٩٩١ المندحرة، كان قد اختنق بجوقة الضحايا من الثائرين حوله (ومنهم ابنه المفقود). خاضَ الصوتُ حربَه وحدَه ايضاً. لقد اقتضى الهامشُ الطويل، كأفعى مذعورة، أن تتلوّن/ تترقّط قصائده بمعجم هائل من التوريات والغنائيات الشعبية.

سمعتُ موفق محمد يقرأ شعراً على منصّة، خلال معرض مؤسسة المدى للكتاب العام ٢٠٠٧، مستدعياً نبرة الهامش الانفرادية، رائحاً وغادياً في حنجرة حجرية، فكانت تلك القراءة تمثيلاً حياً للصوت المستقل الذي وصفتُه في مقال عنوانه "الاحتجاج الناعم" نُشر في جريدة المعرض. كان الصوت قد تخلّى تماماً من حذره القديم، لكنه اكتسى مقابل ذلك ثوباً فضفاضاً من ملابس الشعيرة الاحتفالية وغنائيتها. كان صوته احتجاجاً هامشياً على طقس عام من الحرمان والاقصاء عن بناء الضمير الجماعي العادل، وقد يكون هذا ضميراً شعرياً لا غير. الصوت يحتجّ، لكنه يحذر من الانزلاق من هامش الشعر إلى متن الهجاء الشعبوي، المعادل لمتن السلطة القمعي القديم. وكم عانى موفق محمد من هذا الاستبدال الخطابي للصوت وصيرورته الجمالية- بناء قصيدة متماسكة مقابل ضريح الأمس الرمزي. أخيراً، قد نتخذ من العبارة الوصفية- السوريالية التي صدّر بها موفق محمد قصيدته (الكوميديا العراقية) دليلاً على الصوت الجريح، المتعثّر في هامشه الحجري (وهو هامش مَن سبقوه على المرقى الزلِق للقصيدة الغنائية: رشدي العامل، سعدي يوسف، مظفر النواب وغيرهم من بناة ضرائح الزمن الصعب). أقتطعُ تلك العبارة وأحاول نقشها على ضريح الشاعر:

"أنا مثلث، ولي أربعة أضلاع، وخمسمائة وستون ألف قدم، أعيش الآن في مستشفى للمجانين، تقع شمال جمهورية أفلاطون".

موفق محمد.. الشاعر والموقف

زهير الجبوري

لعل الحديث عن الشاعر الراحل موفق محمد يأخذنا منذ الكوميديا العراقية نهاية ستينيات القران الماضي، وصولا الى (عبدئيل) و(بالتربان ولا بالعربان) و(سعدي الحلي في جنائنه) ثم المجموعة الشعرية، وانتهاءً بـ(بين قتلين) الى تجربة التي افاضت الكثير في الشعرية العراقية، حيث كانت له اسلوبيته الخاصة وصوته المائز ولغته المعهودة، فهو من الجيل الستيني الذي تربى على قاعدة الشاعر المثقف والمطلع على الكثير من الثقافات والقراءات المتنوعة، ورغم انه يجيد كتابة القصيدة الشعبية بمهارة عالية، فقد ضمنها في كتابة الشعر الفصيح، لتعطي لونا خاصا به انطوى على اسلوب أدائي له خصوصيته في البناء والتلقي معاً..

اضافة الى اجادته في كتابة القصيدة المعاصرة، بكل ما تحتويه من تضمينات فنية عديدة في (الوزن والنثر والعبارات الشفافية) فإنه يمتلك طريقة إلقاء خاصة لصوت نبري حاد، ساعده على الطريقة الأدائية في التأثير والتأثر، فكانت متعة الأصغاء لدى المتلقي مؤثرة جدا، بل اعطت جمالية اضيفت الى القصيدة ذاتها، بمعنى يمتلك شفرة الضربة الشعرية التي تبقى في ذهنية المتلقي او القارىء، لذا احسب ان ما قدمه جعله أكثر حضورا من بين اقرانه الشعراء.

الشاعر موفق محمد اشتغل على قصدية واضحة في تجربته، حيث كانت له مواقف من السلطة، فكرس اغلب كتاباته في تأجيج الحس المضاد عبر اسلوب خطابي حاد ما جعل الطبقة المضادة ذاتها تنجذب لما يكتبه، او بالاحرى يستقبلون قصائده بوصفها الصوت المساند للأنسان المنتفض والرافض، وهو امتداد لشعراء الحماس الذين تتحول قصائدهم الى مواقف تؤجج الشارع وتُصعد من حدته بخاصة الجيل الاخير من الشباب الذين افترشوا في ساحات التظاهرات؟؟

اما ما يخص حضوره الاجتماعي والتربوي، فقد اعطى بصمة كبيرة بين ابناء مدينته، فهو النديم والفكه والاستاذ المربي والصديق، وكثيرا ما يحيطون به الأحبة من تلاميذه ليتذكروا المواقف والشواهد، ومن خلال هذه التجربة الواسعة في حياته الثقافية والتربوية، فقد صنفه النقاد بشاعر الألم العراقي وشاعر الوجع، ككل، يمكن تسميته بـ(الظاهرة السسيو ثقافية) لأنه من أكثر الشعراء او الادباء الذين قلبوا المعادلة حين جعلوا الأدب لكافة الناس لا لفئة النخبة، وقد ماشيته كثيرا وجلست معه كثيرا فوجدت له بصمات كبيرة بين ابناء مجتمعه وكذلك حضوره الكبير بين ابناء المدن الاخرى..

الشاعر موفق محمد لا يدون الاشياء بقدر ما يحمل من تلقائية فطرية، وكثيرا ما نجد أثره عند اقرب الناس اليه، ولي شرف الاحتفاظ بالكثير من تجربته الشعرية الممتدة لعقود، وحين طلب منه الشاعر العزيز عمر السراي (الامين العام في اتحاد ادباء العراق) ان يطبعوا له ديوانا شعريا كانت اجابته مختصرة أنا لا اجيد للمة قصائدي اذهبوا الى زهير الجبوري، وبالفعل كانت لي مهمة جمع قصائده وارسالها الى اتحادنا العريق لتظهر له آخر تجربة، للشاعر موفق محمد حياة واسعة كرسها في مهنته التربوية والثقافية، والحديث يطول عنه غير اننا نختصر ذلك بكل ما قدمه في الساحة العراقية والعربية، رحمة الله عليه، سيبقى بيننا في كل ما قدمه وما تركه من أثر.

موفق محمد.. غياب شاعر جميل

يوسف المحمداوي

"من أيِّ حبٍّ قُدَّ صبرُك، من أيِّ نارٍ قُدَّ صبرُك، من أيِّ طينٍ قُدَّ صبرُك" بكلمات الشّاعر الخالد كان لسان حال وداع شط الحلة والمشيّعون من أدباء وعامة الناس لشاعرهم، قدموا من جميع مدن العراق لوداع الشاعر المارد، لسان الفقراء والمساكين والمظلومين، الفاقد لولده في الدنيا، أراه الآن فرحًا لا لهيبة التشييع فقط، والذي يستحقه كشاعر منتفض، وإنّما ليلتقي بصديقه حسن وولده طالب الهندسة الذي غيّب مع من غابوا من شهداء انتفاضة ١٩٩١، لم ينفذ المشيّعون وصيته فلا نايا يعزف ولا زجاجة خمر ولا عودة سريعة لبيوتهم قبل أن يصل إليه المقّنون كما ذكر في وصيته أو قصيدته، ومبرراتهم في ذلك عدة، ولو كان حارس شط الحلة حاضرًا لصرخ بأعلى صوته من دون خوف أو ريبة وهو الثائر الشعري الأول من غير منازع: "أيها السادة المتأسلمون، الحاكمون بأمر الله والمتحكمون برؤوس عباده، ارفعوا سيوفكم عن رقابنا وخذوا الفرص كلها، الدنيا والآخرة، والسماء ومن فيها، والأرض ومن عليها، خذوا ربكم المفخخة، خذوا ربكم الطائفية، خذوا ربكم الكاتمة، واتركوا لنا فرصة بناء عراق ينام به الله آمنا في سمائه" منقول من قصيدته "رسالة الى "المتأسلمون"".

بيض الوجوه

عرفت الشاعر لأول مرة في حياتي من خلال المنتدى الثقافي الذي كنت أترأسه في العام ٢٠٠٣، بعد أن احتفينا به كأبيض الوجه والموقف في احتفالية "بيض الوجوه" وقد يكون المنتدى أول منظمة مجتمع مدني في العراق تحتفي بالشاعر وقد شرف المنتدى في ذلك الوقت الكثير من الأسماء التي شاركت في ذلك العرس الثقافي الأسبوعي منهم على سبيل المثال لا الحصر "الراحلون الشاعر الفريد سمعان، القاص فهد الأسدي، الأديب د. عناد غزوان، الشاعر محمد علي الخفاجي، المسرحي محي الدين زنكنه، واستاذ الجمال د. جميل نصيف التكريتي ومن الاحياء، الروائي حميد المختار، والشاعر الكبير كاظم الحجاج، والروائي نصيف فلك وغيرهم من الاسماء المهمة في عالم الأدب والموقف والتي كانت تشرف على اختيار الضيف لجنة ثقافية برئاسة الروائي والإعلامي حميد المختار، وكان بينهم الموفق في الشعر والإنسانية خالدنا أبو خمرة الذي اكتظت القاعة بالحضور من أجله، وكان يفور حينها شعرًا مفعمًا بالألم والثورة والإنسانيّة والفقدان على ما يحصل في بلده الذي يعشقه كعشقه لشط الحلة.

وصية الشاعر

الخميس الماضي ترجل عن صهوة الفروسية الشعرية كجسد القامة الشعرية موفق محمد، لكنها رحلة اخرى لخلود شاعر الوجع وحارس شط الحلة، بعيدًا عن علاقتي مع الشاعر كصديق للجميع سأتحدث عن شجاعة الشاعر الذي لم يبال بالسلطة وهمه الأول والأخير الوطن والمواطن. لا أظن بأني سأخالف أحدًا حين أقول بأنّه من أكثر الشعراء الذي رسم خارطة موته في أكثر من قصيدة، وجاد بإحداهن بوصف الأيام الاولى التي تعقب رحيله، راسمًا بريشة الفنان المحترف لوحة للحياة التي يتمناها هناك.

وما يجعل رحيله بداية لحياة خلود هو اصراره الإنساني والثوري لنقل الصورة للموتى الذين سيلتقيهم في رحلة الحياة الأخرى عن الواقع الذي نعيشه نحن الأحياء ويخبرنا بما يراه هناك حين يقول: "كل ما ارجوه من السادة المشيعين بي إلى مقبرة السلام، أن يرسموا في شاهدتي نايًا يصدح وقنينة خمر تضيء لي الطريقا، وأن يغادروا قبري قبل أن يبدأ الملقّنون، فلا وقت لديَّ.. في الليلة الأولى سأزور الشهداء القديسين".

الشجاعة والخوف

وهناك سيطلع على معاناتهم وتفكيرهم بأحبتهم وبعد أن يصغي لهم يخبرهم بالواقع الذي نعيش واصفًا معاناتنا للموتى الشهداء بقوله: "أطفالكم يشحذون في الإشارات الضوئيّة، ونساؤكم يتقوسن بين التقاعد والعقار، وأمهاتكم في آخر صيحات الموت تلال من العباءات السود تطير نائحة إلى السماء" ثم يستمع إلى وصية والده المتوفي ويلتقي بصديقه حسن، علمًا أنّ القصيدة التي عنوانها "وجع عراقي" كتبها في زمن الخوف الثاني ما بعد التغيير، ولكن الأكثر منها جرأة ووضوحًا قصيدة اخرى سنأتي على ذكرها في هذا المقال.

يقول الروائي الانكليزي "نيل جايمان" أن الشجاعة لا تعني أنك لست خائفًا، الشجاعة معناها أن تكون خائفًا، خائفًا جدًا، لكنّك تفعل الصواب رغم ذلك"، هذه المقولة قادتني إلى احتفالية الحزب الشيوعي العراقي في الذكرى الثمانين لتأسيسه والتي كانت في العام ٢٠١٣، وبالتحديد على قاعة سينما سمير أميس في بغداد حيث ألقى شاعرنا الكبير موفق محمد قصيدته الرائعة "رسالة الى "المتأسلمون"" ولم أقل رائعة اعتباطا أو مجاملة لشاعر عشق الوطن بكل ما أوتي من قوة ولكن روعتها تأتي لتمردها الصارخ والواضح على الواقع الذي نعيشه في مواجهة "المتأسلمون" كما سمّاهم الشاعر، والذين استعمروا حياة الوطن والمواطن بمفخخاتهم وبكواتم قتل الابرياء ليشيعوا لغة القبح على حساب أغاني جمالية الحياة.

نبوءة الشاعر كانت أكثر من واضحة بالإشارة إلى عصابات "داعش" الإرهابية، على الرغم من كونه كتب القصيدة وألقاها قبل دخول "داعش" للعراق بشهور لأنّه ألقاها في آذار وعصابة القتلة دخلوا الموصل في حزيران من العام نفسه ٢٠١٣، وكانت لغة القتل السائدة عند "الدواعش" هي السيوف، وترجمها هو بقوله "ارفعوا سيوفكم عن رقابنا" وكم حصدت تلك السيوف الظلامية من رقاب.

عاشق الوطن

الكبير موفق بعدها بدهشنا برحلة أمل صوب صوت الجبل الكبير وديع الصافي وهو يغني معه في بداية مقطعه الجديد اغنية الصافي "زورها بكير يا عصفور"، بعد مستهل الاغنية يصمت الشاعر ويتحول الى صورة مأساوية أخرى، فما الذي دفع الشاعر لذكر عنوان الاغنية ثم تجاهلها، وحين استرجعت الاغنية وسمعتها بصوت صاحبها الصافي أدركت بأن هذا المهووس بعشق الوطن يطالبنا جميعًا بسماع تلك الاغنية لكونها حنينًا لمدن مضاعة يريد من عصفور القلب ان يزورها بعجالة ويتنعّم بكل ما فيها من حياة بعد أن أرهقت نهارانها خفافيش الظلام.

عاشق الوطن وشاعره بعد مستهل الاغنية يبين لنا ماذا فعلوا القتلة بالعصافير، بالبلابل، بالحياة وهو يقول "لقد نتفوا ريش العصافير التي تقف فوق الزنازين خوفًا من رسالة حب، واعدموا البلابل التي تحمل لنا تحايا الأهل رميًا بالرصاص، وسدوا الثقوب التي نتنفس منها، فلم يتمكنوا من بصرتك وبصيرتك".

الشاعر بعد ذلك يحدثنا عن معاناة الشعب وغايات وأهداف الحكومات الفاسدة والعصابات المتنفذة، ووصية أم الشاعر التي تحذر الحكومات من شارة الحزب الشيوعي ومكانته التي تضر من يضره لكونه ناشدًا وراشدًا للحب والسلام، الى أن يتحول الى جزء مهم عاشه العراقيون مجبرين غير مخيرين "الكتلتان المتصارعتان الآن، أعني الكتل السياسية والكتل الكونكريتية، كلاهما تتربّعان على صدور العراقيين، وتطحن والناس نيام".

"من أيِّ نجمٍ قُدَّ شعرُك "

يخاطب الحزب بعدَ ذلك معترفًا بمناقبه وتضحياته "أيها الزاهد النبيل، ما زلت في محرابك خاشعًا، متصدعًا من محنة العراق، فلقد انفطرت قلوب قبلك ولم تزل يافع القلب خضلاً، ثمانين عامًا وأنت تضيءُ ليل العراق الطويل بكوكبة من شهدائك، وتهتف يسارًا انظر، فلقد أكملت الدورة الوطنيَّة وكهربت القرى وابتكرت العراق".

وفي ختام معلقة الشجاعة بزمن الخوف يخاطب شاعرنا الكبير حزبه قائلاً "من أيّش حبٍّ قُدَّ صبرُك، من أيِّ نارٍ قُدَّ صبرُك، من أيِّ طينٍ قُدَّ صبرُك".

وأنا المذهول بشجاعة القصيدة وصاحبها أقول: "من أيِّ نجمٍ قُدَّ شعرُك"... وبخلوده لا برحيله أقول: "من أيِّ طينٍ جاء صبرك؟ يا ابن الحضارات التي لا تنتهي.. كيْفَ يخرُج شعرك.. يا حارس الشط العجيب بعين صدرك.. درسٌ بجامعة الخلود.. بيارق فوق الحدود.. يطير شعرك.. في أيِّ نجمٍ يجري نهرك.. عدنا لخارطة الجروح المنشداتُ بغيض سرك.. قلنا ولكن المقالة لم تصل للهيب فكرك.. قدنا لنرسم إن رضيتَ، بشمعة، أو دمعة، أو لوعة، فوق السماء صروح قبرك".

قراءة في قصائد موفق محمد

نجاح هادي كبة

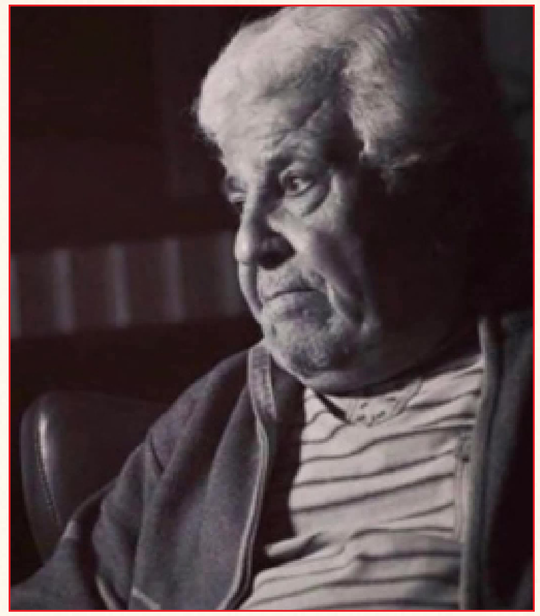

البيئة الخاصة والعامة

هو موفق بن محمد بن أحمد أبو خمرة، ولد بمحلة الطاق في مدينة الحلة سنة (١٣٦٧هـ- ١٩٤٨م)، أكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة والثانوية فيها، حصل على شهادة بكالوريوس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية من كلية الشريعة، بغداد، عمل في التعليم مدرساً في عدد من مدارس الحلة، وفي نشأته أحبّ المتنبي والجواهري والسياب، وتأثر بـ (بابلو نيرودا)، نشر شعره منذ سنة ١٩٦٧م بعد نكسة حزيران وهو من جيل الستينيات وهو جيل التجديد والتمرد الشعري والفكري الذي يطلق عليه (الموجة الصاخبة)، مارس كتابة الشعر ثم كتب الشعر الحديث ونشره في الصحف والمجلات العراقية مثل الكلمة والأقلام، والعربية مثل جريدة العرب. طبعت له مجموعة شعرية في الدانمارك بعنوان (عبديئيل) (المرزوك، ٢٠١٢م، ج٣؟ ص٣٤١).
شارك في المهرجانات الشعرية في العراق وسويسرا والكويت وأسبانيا.

شاعر ساخر

انتخب رئيساً لاتحاد الأدباء والكتّاب- فرع بابل سنة ٢٠٠٤م وهو عضو جمعية الشعراء الشعبيين في بابل، أصدر المجموعات الشعرية الآتية: عبديئيل، بالعربان ولا بالقربان، غزل حلي (الحداد، ٢٠١٢م، ص: ٢٩٤)
موفق محمد شاعر ساخر قصائده فيها رفض ووجع لذلك فهو شاعر ملتزم كرّس شعره لخدمة أبناء وطنه خاصة وهو يذكرنا بشعراء الكدية والسخرية والهزل مع المفارقة الذين عاشوا في العصر العباسي.
وظف موفق محمد الشعبي أو العامي في شعره مثل الأمثال والكنايات والشتائم والحكاية وهو ما ميّز شعره عن غيره من أبناء جيله فهو في شعره نسيج وحده، تطغى على شعره النكتة المرة والساخرة، قال عنه أحد النقاد: (انه شاعر يوظف وجع الكلمات بوخزاتها الدامية في الجسد وهذه الوخزات هي النكتة السوداء التي تستند إليها فكرة التندر القاسية المريرة في ظروف واقع قاس ومرير، لهذا بدت قصائده مشحونة بالموت والتدمير والنهايات القاسية، فهو يقف عند تخوم نهايات الحياة المعفّرة بالعذابات والتحديات، إذ تنتشر الأشياء وتتحول إلى جذاذات عبر عملية تدمير واضحة) (المرزوك، ٢٠١٢م، ج٣؟ ص: ٣٤).
من الملاحظات في تجربة موفق محمد (على سبيل المثال لا على الحصر). التعلق بالمكان فهو أكثر الشعراء جنوناً بمكانه الحلة. ومحلة الطاق ونهر الحلة وجسرها، تعامل مع الأماكن بوصفها تجوهرات دلالية في النصوص وصاغ منها روحاً للجماليات الرمزية في اللحظة التي اكتشف فيها بأن جسر الحلة لم يكن وسيطاً للانتقال من مكان لآخر وانما ينطوي على دلالة الحوار بين نمطين ثقافيين وحضاريين الصوب الجديد/ الحكومي والصوب القديم/الزراعي، وقد اتخذ النهر في نصوصه دوره الذكوري بعد انحسار دلالته المرتبطة بالموت... الحلة مدينة الشاعر والطاق مركزها وسرّة العالم كله، الطاق ذاكرة المبدع وطوفان أحلامه وفتوته، محلة امتدت إلى الحلة والعراق وعرفت بتاريخها أسماء ورموز ثقافية خالدة حتى الأبد ومنهم طه باقر/محمد مهدي البصير/عبد الجبار عباس/علي جواد الطاهر، ونجح الشاعر في وصل كل هذه الأسماء مع تجوهر مقترن بالعالم طه باقر). (المعموري، ٢٠١٥م، ص: ١٧).
ان الشاعر يستمد قوته وإبداعه من البيئة التي يعيش فيها، فالبيئة والوراثة من أهم مصادر الشاعر في إبداع قصائده، والحلة بيئة حاضنة للعلماء والمفكرين ولها تاريخ مشرق بعيد هو التاريخ البابلي والعربي الإسلامي، وتاريخ قريب هو تاريخ العصر الحديث وكلا التاريخين جعل الشاعر الحلي مرتبطاً بالالتزام لما فيهما من صفات روحية ومادية سجلها التاريخ بمداد من العطاء والتقدم. فكانت الحلة ناصعة في تاريخ العراق تمتد إليه ويمتد إليها.

ديوان غزل حلي

ديوان "غزل حلي" لموفق محمد من منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق ضمن آفاق جديدة (٧) يقع الديوان في (١٠١) إحدى ومئة صفحة من القطع المتوسط، ويحتوي على (١٢) اثنتي عشرة قصيدة منها: غزل حلي الذي عنون الديوان بها، وسري للغاية، أبواب، النور يرقص في سريري، صور شمسية... الخ.
الديوان بمجمله صرخة وجع عراقي على ما حلّ بالعراق من خراب ودمار نتيجة الحروب، إلاّ أنه لا ينسى بلدته الحلة التي خصها بقصيدة طويلة "غزل حلي" هي فاتحة الديوان، قال متغلغلاً بحب الحلة:

أرجو ان لا يخاف أحد
ها أنا أحب الحلة
فما زلت جنيناً في رحمها
أسمع صوت أمي
في هسهسة الخبز
وفي نهرها الهادر بالحمام
هذا النهر الذي مد ذراعيه وسحبني
برفق من رحمها
وخبأني وأراني ما في قلبه من تيجان
وكنوز
ولغني في سورته
لكن نهر الحلة قد اكتسى بالسواد، لان النهر يلبس عباءات الثكالى ثكالى الحروب التي دمرت وطنه، قال:

حيث يفور الصبر
وتلبس الأمواج عباءات الثكالى
وتسير بخطا وئيدة
فترتبك النوارس فوقها صارخة
يا نهر أنّى لك هذا السواد؟
أنا أحب الحلة
أعشق رقتها التي تفوح برائحة العنبر
وحليب أمي وهي ترضع آخر العنقود
ولكن جسر الحلة على نهرها الجميل لم يعد ذلك الجسر الذي يربط القديم بالحديث بل صار يئن ويبكي لأنه صار سبيلاً للعابرين إلى الحروب، قال:

واعتذر... أحبّ جسرها القديم
لم يحلق لحيته رفقا بالصبية
أسمع أنينه وهو يرى الجنود
العابرين إلى الحروب
محترقاً بالجمر الذي تتركه أقدامهم
على ضلوعه
أهذه دموع أمهاتهم؟
قال الجسر وبكى

ثم يرجع موفق محمد إلى ذاته فيتقمص صورة حمار ساخراً أمام هول انعكاسات الحرب على وطنه فيقول:

ألم ترَ ان لا حمار في العالم يشبه موفق محمد
فهو الوحيد الذي يسير على قدمين اثنين
هو في الستين من عمره
ولا يملك شبراً في المعمورة
ولا زاوية في زريبة
يخرج وحيداً عارياً كما خلقه الله
ويعود مثخنا بالجراح
جراء السياط التي تشترطها الأزمات
التي تعصف بالبلاد

هذه الأزمات جعلت الخواء النفسي والمادي يفتكان بالعراقيين أيام الحصار، قال في قصيدة أبواب:

فلا خبز في الدار
ولا أب يهبط من صورته في المساء
المساء الذي يلوّن الأفق
بنحيب الأرامل
لتشرق الشمس عراقية
تتطاير لحما ودما
ما من حصاد في وطنه سوى التوابيت، فيناشد موفق محمد صوت العالم، فيقول في قصيدة أبواب:

بابنا لم يحلق لحيته
فلقد اشتبكت بلحى الأزقة التي تنام
في التوابيت
أما آن لأبوابنا الملطخة بالدماء
والحناء
والعويل وبكاء العوانس
ان تطير بأنوابها
مبرقة مرعدة
ليرى العالم غيومه الجديدة

ثم يتوجع موفق محمد على أبناء وطنه من الخراب الذي حل بوطنه بشكل أكثر صراحة إذ يوظف الاستفهام، فيقول في قصيدة صور شمسية:

هل رضعنا حليب جهنم وتنشقنا
يحمومها؟
فاستأسد الجمر فينا...
ليأكل ما تبقى من لحمنا الذي
أخطأته الهاونات والأنوات....
لدرجة جعلت العراقيين يطلبون
اللجوء الإنساني إلى جهنم...

ثم يتجلى موفق محمد في صورة حكيم فيطالب بالحكمة لوقف نزيف الدم بين أبناء وطنه.
قال في قصيدة (No – PHoto):

عمّ تتذابحون؟
والوطن يرفس تحت اقدامنا
أنحن الغريبون فيه أم هو الغريب فينا؟
ألم نرضع حليبه؟
وتوسدنا صدره طويلاً
فلنحتكم قليلاً
قبل ان يصبح العراق مصنعاً لتعليب الرؤوس البشرية

وما من مستور غير المقابر
لابد من الإشارة إلى ان موفق محمد ملمٌ بالتراث الشعبي من أمثال شعبية وألفاظ وحكايات وشتائم – كما ذكر سابقاً- منها في قصيدة تخطيطات جديدة لمؤيد نعمة، قال:

والنقط يخرج من بطون الأرض مشفوعاً
لا بما صنعت يداه
ولضاع شعب في المتاه
(والشايل البيرغ حمد والبلطم ابن كضيمة)

وقال في قصيدة ما تبقى من أيامه:

والوظيفة في الصباح
سوى الرعب وما يردده
الصبية وهم يجوبون
الأزقة في عرباتهم
(العدّة عراقي عتيك للبيع)

موفق محمد يدوّن احتجاجه

علي حسن الفواز

يكتب الشاعر مدونته وكأنه يفترض تدوينا غامضا للعالم، الغموض الذي يجعله حرا، وبعيدا عن التفسير والتقويل والتأويل، فالوضوح لاينفع- احيانا- وسط الالم والاحتجاج، لذا تحتاج اللغة الى الغموض الذي يُفضي الى أشياء كثيرة، أولها شغف الحرية، وثانيها أن يفقد الانسان تواطؤه مع تلك اللغة، وثالثها أن لايقلق على مايتركه التدوين العلني من أثر له علاقة خلافية مع النحو أو الصرف، أو حتى مع الضبط الشعري الذي يفرض سلطته ورقابته على الشعراء.
موفق محمد يكتب القصيدة بوصفها غموضه الشخصي، أو ألمه الشخصي، أو هي خطاب احتجاجه الشخصي، إذ يمارس كتابتها بوصفها طقسا ونشيدا وتعويضا، يترك لها كلّ جوارحه، وكلّ حواسه، ويضعها في سياق قاموسي من الصعب الوقوف عند قياسه او معياره، إنها القصيدة الشخصية جدا، قصيدة اللوعة والاعتراف، واحسب أنّ مثل هذه القصيدة لا تحتاج الى خرائط وقواميس قدر حاجتها الى البوح العلني، لذا يحرص موفق محمد، وبهوس غريب على الانصات الى صوته، إذ يتموضع في ذلك الصوت، يتماهى عبره مع فعل التدوين، والذي يتحول الى اعتراف مفتوح بحجم الحزن والخيبة التي يحملها، حدّ أنّ لاقيّاس للقصيدة التي يدعو للانصات لها، وهذا ما يجعل الجمهور مُنشدا الى شاعر يبكي، أو يشتم أو يسخر أو يحتج، فالقصيدة هنا هي لعبته الفادحة بالتعويض، والعلو، وفي مواجهة الضجيج الذي يفتعله الآخرون، ولأسباب لا علاقة لها بالشعر، فنحن نمارس السخب بوصفه عادة، والانصات هو اكراه يضطر اليه الجمهور تلذذا، أو خوفا أو خجلا أو خوفا..
منذ الكوميديا العراقية، وعبديئل، بالعربان ولا بالربان، وغزل حلي، وهو يواصل هذه اللعبة البانخة والفاجعة، يستحضر مرائر الذات العراقية واحزانها، يلامس تفاصيل المكان، عبر استدعاء شفراته، مثلما يستحضر الوجود عبر احالاته ودلالاته، فالمدينة الحلة هي الفضاء السحري، وحتى يومياتها وهوامشها وفقراؤها تبدو وكأنها غامرة في سياق تلك الشفرات والاحالات، فلا شيء خارج الحلة، ولا خارج نهرها، وخارج اساطيرها التي تجمع طقوس الفرح بالفاجعة، وتجمع مثيولوجيا الفقد بالحضور..

الكتابة بوصفها خطابا شخصيا

قصيدة موفق محمد تحتاج قارئا منحازا لها، قارئا يعايش الوجع فيها، ويتعالى مع دينامية الصوت الذي يستغرقها، الصوت الذي يعني الروح هنا، مثلما يعني تعرية القبح في الذات المحاربة، والذات المتسافلة، فالعالم كما يراه سافلا في حروبه واكاذيبه واستبداده، لذا من حق الشاعر أن يمارس سفالته المضادة عبر اللغة، أو أن يوظف قاموس الشتائم التي يعرف جذرها الشعبي والاستعمالي، لكي يضفي على القصيدة شذراته اللامعة، ولكي تكون هي نصه العلني بالاحتجاج...
هذه القصيدة تعيدنا- ايضا- الى الهجاء، ليس بوصفه التاريخي كما عند الحُطيئة، بل بوصفه مواجهةً مع الموت الذي يفرضه الآخرون من السياسيين والفقهاء والتجار وانصاف الثوار والخونة وباعة كل صانعي اللعنة.
إنها قصيدته اللاذعة، تلك التي تحرّضنا، وتستفزنا، والتي لا تفترض وجود ناقد يراقبها، ولا نحوي يطارد جملها، بل تطرح نفسها كصوت مدوٍ، هو الصوت الانساني الذي يدفع الى مزيدٍ من الاحتجاج على الكراهية وعلى الضعف والخوف، والذي ورثناه من السياسة ومن الوصايا، وحتى من القصائد التي ظل السلاطين يؤجرونها لمواجهة خصومهم، وحتى من الأرث المسكون بالاشباح وبعربات الشياطين وخيول الخرافة.

فما زلنا في المربع الأول،
واضعين الحصان خلف العربة،
وعندما نتفق أو نختلف،
لا فرق،
نقتل الحصان والسائق،
ونحرق العربة..

قصيدة التفاصيل

التفاصيل عند موفق محمد هي اليوميات، والهوامش، والامكنة التي تضجّ بالحياة، وهي ايضا الحكايات والشفاهات، وأن توظيفها في القصيدة يأتي عبر شحنها بإلحات حسية غامرة، وباستعارات تقوم على فعل المناورة، والمفارقة، وبما يجعل تلك التفاصيل وكأنها قصة الحياة المكتوبة بطريقة أخرى كما يسميها بول ريكور..
محلة الطاق، نهر الحلة، الأم، الولد الغائب، المقهى، الاصدقاء، الحكاية الشعبية، حوامل لتغريبة شعرية يكتبها الشاعر وكأنها يكتب من خلالها العالم الذي يراه مذبوحا عبر الحروب، تلك الحروب التي تذبح اولا الامكنة والذاكرة والحكايات، ولتترك بعدها الوجود بوارا، مقموعا، تائها، يبحث الناس فيه عن المعنى الغائب، عن التناص بوصفه كوميديا السوداء، عن ثقوب تصلح للتسلل منها لمواجهة مايجري، أو لمعرفته كحد ادنى، فالمعرفة هنا قاسية وموحشة وباعثةٌ على الكآبة..
كيف يكتب موفق محمد؟ سؤال لا حدود له، إذ تبدو الكتابة لعبة شخصية، فائقة الخطورة، لكنها قريبة من الجسد، تغسله، أو تكفّنه، أو تؤبنه أو تُطهّره من املاح الخديعة، تساعده على التنفس والعيش والاعتراف.. علاقة الجسد بالقصيدة تكشف لنا عن نوع من السينوغرافيا، فحين يصوّت موفق محمد يتحول الى الجسد الى فضاء من الالوان التي يرتديها كنوع من الاحتجاج الصاخب، والى اصوات، تبوح، لكنها تتبعثر على المسرح، وكأنها تستدعي كورسا ملحميا كي يشاطرها هذا البوح العالي، أو التطهير الذي يفكّ عقدة الاثم، أو وجع الروح وهي تتنمر على الجسد دائما. قصيدة موفق محمد لا سوء نية لها، بقدر ما أنها تواجه" الامبراطور بعريه" قصيدة لا اغطية لها، فاحة، متمردة، تفاصيلها مأخوذة من الحياة ذاتها، لكنه بالمقابل يكتب هذه القصيدة لكي يواجه الخوف، الخوف من الاخطاء الكبرى، الاخطاء الأقسى من الموت، وحين يعود الى الحلة، الماء، الأم، يطلق لنفسه صوتا خفيضا، هو الصوت الضد من صوته المسرحي، إذ يحلّ به، يناغيه، يسمع صوته الحميم، الصوت الذي يعيده الى الحياة التي حاول ان يكتبها بطريقة اخرى..

أرجو ان لا يخاف أحد
ها أنا أحب الحلة
فما زلت جنيناً في رحمها
أسمع صوت أمي
في هسهسة الخبز
وفي نهرها الهادر بالحمام
هذا النهر الذي مد ذراعيه وسحبني
برفق من رحمها
وخبأني وأراني ما في قلبه من تيجان
وكنوز
ولغني في سورته..

موفق محمد..كان يكفيك بعض الوقت لتسخر من العالم المزيف!

د. جمال العتابي

لم يجرّب موفق محمد العمل في الصحافة بعد، ولم يكن إسماً معروفاً من بين الشعراء، الصدفة وحدها قادته للعمل في إحدى المجلات المهنية، هناك التقينا لأول مرة نهاية ستينات القرن الماضي، كانت البدايات الأولى لنا في خوض غمار العمل الصحفي، كان (موفق) ما يزال طالباً في المرحلة الأخيرة من دراسته الجامعية في كلية الشريعة، عهد إليه زميله في الدراسة وصديقه رئيس تحرير المجلة (سامي الموصلي) الإشراف على الصفحات الثقافية في المجلة.

كنا في اندفاع الشباب الحالمين نخطو الخطوات الأولى في تعلّم فنون الصحافة. أول الحالمين (رضا الأعرجي)،الشاب القادم من النجف، يحمل بين جوانحه مشروعه الثقافي مجلة (جيلي)، كانت أولى الأحلام التي تلاشت، بعد عدد يتيم واحد صدر عنها، لم تسعفه جهوده الشخصية، في المواصلة ولا حماسه، ولا سهر الليالي، في إعداد وجمع موضوعاتها ومتابعة طبعها، اكتفى الأعرجي (راضيا) بإرث المجلة الوحيد: انه (رضا جيلي)، كما عنّت لموفق محمد خيالاته في اختيار الأسماء.

الضلع الأخير للمربع صديقنا رسام الكاريكاتير (الجيولوجي) قيس الحديثي. الساخط على العالم، سحنته (محروكة) بالسمرة، وزنه لم يتعد الخمسين كيلو غراماً في أحسن حالاته، ثمة أشياء كانت تجمعنا ملائمة تماماً لروح تلك الحقبة وجيلها الذي أدرك الهوّة الكبيرة التي تفصل بعقليتها عن عقلية الأجيال السابقة، وما كان لهذه المجموعة ومنها موفق محمد أن تجد نفسها بعيداً عن تلك الأفكار، فبدأ (فايق) – هكذا كنا نناديه – مغامرته الأولى في قصيدة (الكوميديا العراقية).

في تلك السنوات الضاجّة بالعنفوان، اعتدنا أن نجوب الشوارع والمقاهي، نجتاز دروب الليل يحدو بنا صانع المشاعر والخيالات رضا الأعرجي، ومبتكر الفرح موفق محمد في أشد حالات الضيق واليأس، والحديثي في قنوطه الدائم. ننشد الأغاني التي أشكّ أن تمحوها السنوات، مازالت محفورة في جذوع أشجار البوكالبتوس العالية التي تظلل شوارع الوزيرية، مرسومة في أغصانها وأوراقها، أو معلقة على جدران دروب الحيدرخانة، وأزقتها الرطبة، ومقاهيها العبقة، تروي قصة شاعر من طراز خاص هو موفق أبو خمرة. الهجّاء، الساخر، العاصف المدوّي، عاش حياته مندمجاً بالأصدقاء، صانعاً ماهراً للعلاقات والجلسات، والحكايات، كان يكفيه بعض الوقت ليسخر أكثر من العالم المزيف، وأزلامه الفاسدين المزيفين.

نام الحرف يا موفق،
وغابت ضحكتك التي تخفي خلفها جروح الوطن، صمتك الآن أعلى من قصائدك، وأوجع من ضحكاتك المرّة، أكثر من نصف قرن من الرفقة، زمن تقاسمنا فيه وجعه، وعبثه.
نم يا صديقي، فقد تعبت من حمل البلاد، ونسج الأمل من خيوط الرماد.
سلام عليك في الغياب، أيها الراحل الذي لا يشبه الغياب،
كما كنت سلامًا على القصيدة
أيها المقيم في خرائط الألم العراقي،
كنتَ تُقارع اليأس بسخرية، من طرازٍ لا يُجيده سواك،
يا شريكي في الحلم والخذلان،
يا رفيق المقاهي، والمنفى، والورق الأصفر...
أخبرني، من سيسخر الآن من الطغيان، كما كنت تسخر؟ أيها الشجاع الجريء.
من سيحوّل الخراب إلى نكتة، والنكتة إلى لطمٍ شعري؟
من سيجرؤ بعدك على أن يكون شاهدًا ومتهكمًا ونازفًا في آنٍ معًا؟

الشعراء أرواح المدن الحية

عارف الساعدي.

انشغل الشعراء بعد النصف الثاني من القرن العشرين وعلى وجه التحديد الشعراء العرب، والعراقيين على وجه الدقة بالمدينة، إذ لم يخل ديوان من دواوينهم من قصيدة واضحة باتجاه المدينة، ودائماً هذه القصائد محل التباس وشكوى، حتى وصلت إلى محطة للهجاء، ودائماً كانت هذه النصوص تنطلق من الشعراء القادمين من الريف، حيث ظلوا مشدودين لأجواء الريف، ونقاوته، وخضرته، ومع هذا لم يغادروا هذه المدن التي يشكون منها، ومن جفوتها، في وجوههم أو من نسائها المتكبرات على أولاد الريف، الذين لا يملكون غير القصيدة، لهذا بقيت هذه العلاقة بين الشاعر والمدينة علاقة إشكالية كبيرة، وربما كان السياب أحد أهم الشعراء الذين لديهم موقف واضح إزاء المدينة ومطولته الشهيرة المومس العمياء بوصلة واضحة لعلاقته بالمدينة حيث يقول:

الليل يطبق مرة أخرى فتشربه المدينة
والعابرون الى القرارة مثل أغنية حزينة....
عمياء كالخفاش في وضح النهار هي المدينة
والليل زاد لها عماها يقول

ولكن اللافت في الموضوع إنّ هناك التفاتة ذكية التقطها الشاعر والناقد د.علي جعفر العلاق حين مرّ في إحدى بحوثه على الشعراء، وعلاقتهم بالمدن، وإنهم اتخذوا موقفاً مضاداً منها لا بسبب من المدينة نفسها، إنما بما أسماه بـ "عدوى التشاؤم" وهي عدوى تأثر بها الشعراء جميعاً بـ "إليوت" بعد ترجمة قصيدته الشهيرة "الأرض اليباب" أو الأرض الخراب، حيث هجا إليوت مدينته لندن وعرّاها تماماً، لذلك فالشعراء تكهربوا بهذه العدوى، فبدأوا برثاء وهجاء مدنهم، والأمر الأخر الذي يدلل على عدوى ذلك الهجاء حسب قول العلاق، إن العرب جميعاً لا يملكون مدينة لها معالم محددة، وسياقات أو أنساق مدينية أو أن لنا مدينة تشتبك فيها العلاقات كما تشتبك علاقات المدن العالمية الكبرى مثل لندن أو نيويورك، إنما نملك نحن العرب مدناً حديثة في الشكل، ولكنها متقادة في نسقها المضمر للعادات الريفية والبدوية والعشائرية.

لقد أعجبتني كثيراً التقاطة العلاق الذكية وبقيتُ مؤمناً بها لمدة ليست بالقصيرة، وما زلت مؤمناً بالكثير منها، ولكن الغريب ان مثل هذه الرؤية ستتبدد بمجرد أن ترى "موفق محمد" في مدينته الحلة، حيث تسكن المدينة في روحه، كما يسكن روح المدينة.

فمما لاحظته ودفعني لهذه الكتابة هو روح المدينة التي تسكن "موفق محمد" وكذلك روح الشاعر التي تطوف فيها، حيث الحلة واحدة من أقدم المدن والحواضر التي لها سياقات المدن من حيث عاداتها، ولهجتها، وتقاليدها، وبساطتها، في الوقت نفسه.

موفق محمد يسير في طرقات الحلة فيعبرون إليه الشباب ليسلموا عليه، بوصفه صوت هذه المدينة، وهو يرد عليهم بكل تلقائية وبساطة، فهو الشاعر والمُعلم الذي تخرج من يديه المئات من أولاد هذه المدينة.

ما وجدته في موفق أنّه بقي ملتصقاً في مدينته، لم يغادرها، ولم تغره العاصمة للحاق بركب الشعراء القادمين من مختلف المحافظات، طبعاً هو وكاظم الحجاج أيضاً يتصف بالتصاقه بروح المدينة، لذلك شكّل موفق محمد عبر أكثر من خمسين عاماً بصمة في روح المدينة، وصوتاً يتردد في دربانيها، وخماراتها، وأزقتها، وبمرور الزمن تحول هو نفسه إلى مدينة كاملة، تسكن في روحه مقاهيها القديمة، وشخصياتها الأسطورية، وشعراؤها الشعبيون، ومغنوها بما فيهم "سعدي الحلي" بل على رأسهم سعدي الحلي، الذي حظي بعنوان لمجموعة كاملة لموفق محمد، فماذا يعني لنا ونحن نضحك مع موفق وهو يسرد لنا ذاكرة المدينة من خلال شخوصها وعلاقاتهم ومن خلال أزقتها وما جرى فوقها، لا أظن إن مدينة التحمت بشاعر كما التحمت الحلة بموفق محمد، الذي يصرح في نصوصه أنه ولد قريباً من شط الحلة، وتعمّد بمائها، وشرب من خمرها الأسطوري المشعشع في صوت سعدي الحلي. موفق محمد يكسر قاعدة الشعراء في موقفهم من مدنهم، بالتصاقه الحاد بها، وبتفاصيلها، وبقصائده التي لا تخلو من الحلة، مغنياً لها، ومتغنياً بها، وبسحرها، وببساطتها، ومهدهداً تعبها، وملتقطاً شبيها من لحيتها الكبيرة. حيث يقول " في الفجر يقف الحلّيون على شط الحلة خاشعين لقباب آل البيت وهي تتوكأ على جراحها وتجري قاصدة النبيّ أيوب الذي يرقدُ على إحدى ضفتيه متدرعاً بالصبر والسلام ليضمد جراحه بشمسهم التي لا تغيبُ بعدها ينتشرونَ في الحلة التي هي بحجم رغيف الخبز شكلاً ورائحة وطعماً طلباً للرزق الحلال ".

موفق محمد يصرح دائماً بأنه ليس شاعراً، إنما هو راوٍ لشاعرة اسمها الحلة حيث يقول "لم أكن شاعراً في يوم ما... فأنا راوٍ لشاعرة اسمها الحلة، أنا أحب الحلة لأني ولدتُ على بعد موجتين من نهرها".

ومثلما منح موفق محمد الحلة كل شعره وحياته، فإنها كافأته أيضاً بأن توجته دليلاً لفراديسها، فهو الشاعر الوحيد في العراق يفتتح تمثاله بيده، ولا أظن إنّ تكريماً أكبر من هذا التكريم حيث يتبرع أحد كرام الحلة وهو الدكتور عادل الكرعاوي أحد تلامذة موفق محمد في الحلة، بإقامة تمثال من عمل الفنان طه وهيب للشاعر "موفق محمد" لينصب في قلب مدينته، على ضفاف الفرات، ويفتتحه بنفسه موفق محاطاً بمحبيه ومريديه، لا أظن إن شاعراً يحلم بأكثر مما حصل عليه موفق محمد، لأنه يستحق كل ذلك فهو المخلص لقصيدته ولقضايا أهله وناسه خالياً من العقد، بل ممتلئاً بكل ما يبعث على الحياة من فرح خفي وضحك مخنوق.

موفق محمد.. جذور المدينة المتينة

رعد كريم عزيز

استطاع الشاعر موفق محمد ابو خمرة ان يمد جذور قصيدته وحياته بمدينته الحلة الى اعماق غائرة، لذا توثقت علاقته بالناس حتى اصبح واحدا مميزا بطريقة شعره وضحكته، وهذا ميزة لا يملكها الى النجم التلفزيوني او السينمائي، ومما ساعده على تاثيث شهرته وامتداد شعره الى افاق واسعة في المدينة الغافية على نهر الفرات علاقته بمهنة التدريس الثانوي التي وفرت له جمهورا شبابيا نشطا صفق لشعره واصغى لطريقة تدريسه الفريدة وتطويع الشعر الشعبي والغنائي في حشاشة الشعر الفصيح، واصبحت قصيدته المحتدمة جاذبة لاعداد غفيرة في العراق سيما بعد انتشار الاتصالات الحديثة وتسليط الاضواء الاعلامية على شخصيته ومسعاه الادبي وكذلك في المحافل الادبية الكثيرة، وساهم هذا التلاحم الجماهيري في عدم الخشية من الرقابة وفتح الابواب على مصراعيها لمشاهد الغياب والمقابر الجماعية وهو يسأل عن مصير ابنه عدي الذي غاب في تراب العراق دون قبر او شاهدة، وكذلك سوء الاحوال ورفع اصابع الاتهام لكل سارق ومخرب، وتعالى الحماس ووصل الى نصب تمثال له وسط المدينة وهو حي.. ماذا يريد الشاعر اكثر من هذا الاحتفاء؟.

حكاية صورة

ومن خلال تجربة واحدة في احد المرابد في تسعينات القرن الماضي سكنا في غرفة واحدة بفندق المنصور ميليا فاصبحت الغرفة مضيفا وديوانا مفتوحا للاصدقاء، الراحل قاسم عبد الامير عجام والشاعر هادي الناصر ابو شموس والشاعر والمهندس حيدر الفيحان والصحفي والروائي لاحقا جمال العتابي و الراحل المذيع احمد المظفر والشاعر سلمان داوود محمد والروائي طه حامد الشبيب والمصور سعد جاسم الزبيدي قبل سفره الى فرنسا والذي كان يملك ستوديو في عمارة جقمقجي في بداية شارع الرشيد فكان اقتراحة صورة جماعية فكان من اليمين قاسم عبد الامير عجام وكاتب السطور في الوسط وعلى اليسار الشاعر موفق محمد وفي المقدمة المصور سعد جاسم الزبيدي حيث تم توقيت الكاميرا لاخذ صورة سيلفي بالطريقة القديمة.

تلك الايام كان للصورة قيمة زمنية كبيرة فكان التوقيت يذكرنا قبل اليوم بالراحل قاسم عجام واليوم اصبحت بين راحلين اقسم الدموع بين قاسم وموفق الذي جمعتنا به اكثر من جلسة في قناة الحرة عراق مع الاعلامي فلاح الذهبي والصحفيان فاضل النشمي وقيس حسن حين حل ضيفا على برنامج سيرة مبدع من تقديم الشاعر عارف الساعدي.

موفق محمد لا ينسى بسهولة فهو يعيش بين الناس انسانا خفيف الظل وشاعرا يقلبك على نار من الوجع العراقي اللاهب وعلى حد تعبير صديقنا حميد عبد الرضا نزام مخاطبا موفق محمد وكانه لم يمت"دخلت قلوب الناس ودفنت في افئدتهم قبل ان تدفن في مقبرة السلام" .

يا موفق الى لقاء في تراب لم يرحم اقدامنا المتعبة من الحروب والهم والسعي نحو الحرية والسلام.

العدد (5911) السنة الثانية والعشرون - الخميس (22) أيار 2025

عراقيون
من زمن التوهج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى
للإعلام والثقافة والفنون

فخري كريم
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين

هيئة التحرير
غادة العاملي
رفعة عبد الرزاق

يمكنكم متابعة الموقع الالكتروني
من خلال قراءة QR Code:

www.almadasupplements.com
Email: info@almadapaper.net
طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

ميلودية الشاعر موفق محمد.....

د. نادية هناوي

بافتتاحية بدت صادمة لكنها أيضا رومانسية حالمة، يطالعنا ديوان الشاعر موفق محمد (سعدي الحلي في جنائنه)٢٠١٥، وفيه يداوم الشاعر على انتهاج الميلودية – التي هي يونانية المنشأ وتعني الكلام حسب قواعد النغمة واللحن وصوت الاغنية – كملمح فني حقق لشعره اشتغالا قصديا فيه الأغنية الشعبية هي المحرك الفاعل والدينامي.

وأهم سمات هذه الميلودية النزعة الواقعية ذات الصبغة الجدلية التراجوكوميدية او الكوميوتراجيدية التي تدمج شفافية الضحك بقتامة البكاء وانتشائية الغناء بوجع الحزن لتتجلى لنا الضديات الصورية حيث الشرخ الذاتي يسايره حنق بروليتاري والإغماض الواعي يرافقه إفصاح لا واع مع اعتمال نفسي يتمخض عن محمولات التجربة الشعرية في شكل ارتهانات غايتها تعرية الواقع انجذابا لمخبوءاته وانهماما بتزويقاته وتشويشاته.

وما يسعى إليه الشاعر من وراء هذه التعرية للواقع إنما هو صنع أجواء تصادمية يتيحها أنموذج شعري طارئ يهرئ الأنموذج الجاهز ويثبت لا جدواه وعدم صلاحيته للاحتذاء وسط واقع يضج بالحروب والجوع والظلم والجشع والبشاعة وهذا الأنموذج الطارئ، وجده الشاعر متمثلا في سعدي الحلي وأغنياته التي اتخذها متعاليات نصية ما كان ليطوعها قناعا يختفي وراءه كما لم يجعلها معادلا موضوعيا يخاتل ذاته. ولعل من مسوغات هذه النمذجة أن الشاعر نفسه هو المنفي القابع والمطرود اللاجئ المكبوت حزنه، المفضوح فرحه. انه المغلوب المنتصر والغالب المهزوم وهو الضعيف بالقوة والقوي بالضعف.

وبهذه النمذجة أيضا تتوكد الواقعية الجدلية التي تمثلت في المتن الشعري عمودا فقريا تتمحور حوله النصوص. وبالرغم من أن كل نص هو قصيدة بذاتها إلا إنها بمجموعها ملتحمة لتبدو ككقصيدة واحدة طويلة تفرز لنا مواقف جمالية هي بمثابة تطلعات شعبية ومطالب جماهيرية ترفض الواقع وتدينه، وفي الوقت نفسه تتلمس مواطن التأنق التي تلمحها في ظل الجدب وتتحسس مظهرية الجمال في شدة القحط.

وتأتي لا رتابة التجربة لتكون ملمحا فنيا آخر يقف جنبا إلى جنب النمذجة. وهذا ما يطبع المشروع الشعري عند موفق محمد بطابع فرداني يتماحك مع الأغنية الشعبية المحلية ممتلكا هوس التضاد بدرامية الروح التصالحية التي يبحث عنها الشاعر ليكشف لنا عن جمالها متخذا من المطرب سعدي الحلي أنموذجه الطليعي الذي سيثمر أهدافا وغايات.

وصحيح أن استحضار مقطع غنائي شعبي وزجه في المتن الشعري ليس بالأمر الجديد على الشعر المعاصر لكن الميزة التي تحسب لموفق محمد تتمثل في كونه لم يجد في الأغنية الفلكلورية المستلة من التراث الغنائي بغيته. ولهذا ضرب كشحا عن الفلكلور الغنائي، مفضلا عليه فردانية التناص مع أغنيات مطرب واحد ضمن قصدية التعاطي الواقعي ذي المسارات المدعمة لسمتي اللارتابة والجدلية داخل المشروع الشعري:

في عيون العمات والخالات القادمات
من عكد المغني وعكس البوس
وبينهما شمرة ناي تسر الناظرين
ومن عكد اليهود وعكد العجم
وبينهما قوس كمان
(وأجناب نزلو بالطرف يا يمه أحبهم)

وتدفع لا رتابة التجربة إلى اتخاذ التعالق النصي وسيلة تكنيكية محببة تحقق مقصدية الجدل والتضاد الواقعيين كما تراهن على فاعلية التعالق التي تتخلل قصيدة النثر في هيأة تناصات مع أغنية من أغنيات سعدي الحلي بسطر واحد لا يتجاوز السبع كلمات حينا او باكثر من سطر احيانا اخر. وعادة ما يضعها الشاعر بين قوسين كبيرين وهذا التناص الغنائي ليس مجرد انبجاس لفظي، بل هو استنهاض معنوي يستمد النسيج الشعري منه تصاعده ويتحقق اكتماله. والجميل المبتدع ايضا في هذا التوظيف ان الشاعر يبني على التناص الغنائي تنويعات شعرية باللهجة الدارجة فكتب الموال وصاغ الابوذية وانشد الزهيري.

ولقد حاد الشاعر بالدرامية عن التراتبية اذ ليس ثمة تعاط للأنموذج إلا في إطار واقعي يقر بلا زمنيته وبلا تغليب للشكل أو الموضوع.. وقد حث الشاعر خطاه بنفس لاهثة كأنها تلاحق ما اكتوت بناره طافقة تبحث عن مهرب.. فلا تجد بغيتها إلا بكلمات تنبجس نغمات يتعالى معها التضاد بالوجع والنشوة واقعا ومثالا..

واتخذ الشاعر من التساؤلات ديالكتيكيا أسهمت الخطابية في مدِّه بمزيد من الحركية كاشفة عن نفس تواقة للجواب لا يهمها ما سيكون للسؤال من تبعات أو تداعيات:

(اريد اسالك واليسأل جواب يريد)
امن من مكتومة يئز الطبر في جمارها
أم من نهر مذبوح يتمازج صوتك
ليأخذ شمرة شهر آب

وهذا ما ولّد مستوى لغويا فيه الإفصاح يجاور الإيحاء والعالمية تندرج في المحلية والفصحى تتصالح مع العامية والأنموذج الشعبي تنداح فيه نماذج عليا صودرت وأقصيت ليكون المتحصل تحريكا للراكد من برك الثبات وثورة على المعتادية الشعرية ارتفاعا بها إلى مستوى متعال جنائني:

قل شيئا يا سعدي
فقد طوقتك الافاعي بفحيحها
لتضع عشبة الخلود في حنجرتك
وانت تسقيها دماء العراقيين

وإذا كان التناص لازمة أسلوبية في ديوان موفق محمد فلماذا إذن هذا الولع برسم الجنائن ورصد أبعادها؟

لعل الاجابة الاقرب الى الافتراض والتدليل تتمثل في أسباب ثلاثة: أولها مكاني فالذي يجمع بين الناص والمتناص مدينة اثيرة واحدة هي الحلة بمناطقها الشعبية الفرعية(عكد المفتي وكمرة وليلة) وامتدادها الحضاري كمدينة هي أولى الحضارات وكتاريخ هو أبو التواريخ. وثاني الاسباب نفسي يكمن في مداراة خيبة المثالية الرومانسية بشغف التطلع الواقعي الجدلي وثالثها نغمي يجعل لقناة التوصيل السمعي حصة تتفوق على سائر قنوات التواصل الأخرى فتبدو الأغنية الواحدة التي قسمت سطورها إلى أجزاء ككليات طربية تصنع القاعدة النصية التي عليها سيقوم البناء الأسلوبي سواء أكان موقع تلك القاعدة في بداية قصيدة النثر أو التابلو أو الومضة أم كان في نهايتها ام كان مركزيا تدور حوله سائر الأسطر الشعرية.

وتكاد تنطبق هذه الترسيمة البنائية على النصوص كلها، معبرة عن مقصدية جعل الجنائن(الاغنيات) قواعد ارتكاز شعري، مستحدثا على المستوى الكتابي نمطا من اللعب الهندسي الضاج بالاحتدام والصادح بنغمية تترشح عن أنموذج غنائي يطوع شعريا محققا تعادلية بإزاء الواقع/ الوجود / الزمان فيصير الحاضر هو التاريخ الذي يمتد نحو زمن قادم. وبهذا تستعيد قصيدة النثر حساسيتها الشعرية وهي تتجه قاصدة روح الشعر لا شكله ليكون ذلك تجل من تجلياتها.

وهذا ما منح تناصاته الغنائية تجديدية لا تحييد فيها كونها ليست مجرد تناصات تقتطع وتتداخل بطريقة الكولاج، بل هي عملية تهرئة لنسيج الأغنية لتبني بدلها قصيدة النثر بعوارض جديدة يتسع معها الجوهر بغية الظفر بالحقيقة وكأن الشاعر رادار لا يوجه اهتمامه سوى للحقيقة راصدا مراتعها عارفا دروبها عاشقا مساراتها حتى وان كان التفتيش عنها يلقي به في دوامة لا قرار لها.

إن هذه الفلسفة الشعرية وحتميتها الحركية تضفي على مشروع الشاعر موفق محمد مزيدا من الأبعاد الإبداعية. ومن ميزاتها أنها لم تجعل التناص مجرد مزاوجة فصيح /عامي وشعري/ غنائي وهامشي / مركزي، بل تعدتها بأن جعلت النص أكثر غورا وابعد منالا في إطار من الطلسمية والملحمية اللتين لا تخلوان من التجريد داخل بوتقة واقعية جدلية متضادة لا تفضي إلا إلى العدمية بدءا ومنتهى، لتصبح الجنائن أغنيات هي بمثابة شاقول يحفظ للنصوص توازنها ويضبط تعادليتها مشيدا صرح مبنى شعري يتصاعد بدرامية الاحتواء والتعالي الضاج بالامتداد واللانهائية:

(من يوم الغبت لليوم عني
لا دمعي بطل لا ركد وني..)
وانت تراهم بصوتك الرائي
يقطعون رقاب
العراقيين بالمناشير واللحى
فيسيل الدم الى الرجاب

"20عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"
عراقيون
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون